

النظم ، وان مدلول الالفاظ هو الذي ينور القلب لا الالفاظ^(١) . وانبنى على هذه الفكرة ان الاستحسان ليس برشاقة اللفظ وعدوبته وانما بأمر يقع من المرء في فؤاده « فاذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : « حلو رشيق » و « حسن أنيق » و « عذب سائغ » و « خلوب رائع » فاعلم انه ليس ينبئك عن احوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوي بل أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه العقل من زناده »^(٢) .

وان الالفاظ أوعية للمعاني فهي تتبعها في مواقعها ، ولو كانت المعاني تابعة للالفاظ في ترتيبها لكان محالاً ان تتغير المعاني والالفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها « فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير ان تتغير الالفاظ وتزول عن أماكنها علمنا ان الالفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة »^(٣) .

والالفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها ، والمعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته^(٤) ، لان الالفاظ ليست الاسماء للمعاني وأوضاعاً قد وضعت لتدل عليها ، فليس لها كبير قيمة من غير تأليف . ولو عمد إلى بيت شعر أو فصل نثر فعدت كلماته عدداً كيف جاء واتفق وابطل نضده ونظامه الذي عليه بنى وفيه افرغ المعنى واجرى ، وغير ترتيبه الذي أفاد ما أفساد فقيل في « قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل » : « منزل قفا ذكرى من نيك حبيب » خرج من كمال البيان إلى محال الهديان وسقطت نسبته من صاحبه . قال : « وفي ثبوت هذا الاصل ما تعلم به ان المعنى الذي له كانت هذه الكلم

(١) اسرار البلاغة ص ٦١ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٤ .

(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٨٥ .

(٤) اسرار البلاغة ص ٨ .